The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
Hebrews 4:4-12	العِبرانِيِّين 4: 4–12
#C2622_Pt.3	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 389
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَج الإذاعيِّ "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم".

كُنَّا قَدِ ابْتَدَأنا مَعًا دِراسَة الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّين. وَما نَأمَلُهُ هُوَ أنْ تَكونَ، عَزيزي المُسْتَمِع، قَدْ تَبارَكْتَ، واسْتَفَدْتَ، وَحَقَّقْتَ نُضْجًا في عَلاقَتِكَ بالربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ خِلالِ هَذِهِ التَّفسيراتِ وَالتأمُّلات. وَفي حَلْقَةِ اليوم، سَنُتابِعُ بِنِعْمَةِ الربِّ دِراسَتَنا لِهَذِهِ الرِّسالَةِ المُبارَكَةِ على فَمِ الرَّاعي "تشك سميث".

وَالآنْ، إنْ كَانَ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ، نَرْجو أنْ تَفْتَحَهُ على الأصْحاحِ الرَّابِعِ مِنْ هَذا السِّفْرِ النَّفيسِ وَهَذِهِ الرِّسالَةِ العَظيمَةِ (أي الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّين). أمَّا إنْ لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ كِتابٌ مُقَدَّسٌ في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَمَا نَرْجوهُ مِنْكَ يا صَديقي هُوَ أنْ تُصْغي بِروحِ الخُشوعِ وَالصَّلاة.

والآنْ، نَتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَعَ دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّين ابْتِداءً بالأصْحاحِ الرَّابِعِ وَالعَدَدِ الرَّابِع دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي "تشك سميث":

[العِظَة]
(الرَّاعي "تْشَكْ سميث")

يَقولُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّين في الأصْحاح الرَّابع وَالعَدَدَيْن الرَّابع وَالخامِس:

لأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ السَّابِعِ هكَذَا: «وَاسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ». وَفِي هذَا أَيْضًا: «لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي».

فنحنُ نَقرأُ في سِفْرِ التَّكوين 2: 2: "وَفَرَغَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ. فَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ". فَحالَما انْتَهى اللهُ مِنْ عَمَلِ الخَلْق، لَمْ يَعُدْ هُناكَ مَا يُعْمَلُ. لِذا فَقَدِ اسْتَراحَ اللهُ في اليومِ السَّابِعِ مِنْ جَمِعِ عَمَلِهِ الذي عَمِلَ. وَقَدْ كانَ اللهُ هُوَ الذي عَيَّنَ يَوْمَ رَاحَةٍ للإنْسانِ كُلَّ أُسْبوعٍ. فنحنُ نَقرأُ في سِفْرِ الخُروج 23: 12: "سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ عَمَلَكَ. وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ تَسْتَرِيحُ، لِكَيْ يَسْتَرِيحَ ثَوْرُكَ وَحِمَارُكَ، وَيَتَنَفَّسَ ابْنُ أَمَتِكَ وَالْغَرِيبُ". وَكانَ يَوْمُ الرَّاحَةِ في العَهْدِ القَديمِ يُسَمَّى "السَّبْت" لأَنَّهُ كانَ يَقَعُ يَوْمَ السَّبْتِ.

لَقَدْ كانَ يومُ الرَّاحَةِ هَذا جُزْءًا مِنْ الشَّريعَةِ التي جَاءَ بِها مُوسى. وَكانَ ذَلِكَ رَمْزًا للرَّاحَةِ التي يَنْبَغي للمُؤمِنِ المَسيحيِّ أَنْ يَخْتَبِرَها في يَسوعَ المَسيح. وَلَكِنَّ المُشْكِلَةَ هِيَ أَنَّ اليَهودَ وَضَعُوا الكَثيرَ مِنَ القواعِدِ والقَوانين التي تُنَظِّمُ السَّبْتَ (أَيْ: يَوْمَ الرَّاحَةِ). فَعلى سَبيلِ المِثالِ، كانَتِ الوصيَّةُ تَقولُ: "لاَ تَحْمِلُوا حِمْلاً يَوْمَ السَّبْت". وَلَكِنَّ اليَهودَ بَالَغُوا في شَرْحِ هَذِهِ الوَصِيَّةِ وَوَضَعُوا لَها قَواعِدَ كَثيرَةً جِدًّا.

وَلَكِنْ كَما ذَكَرْنا قَبْلَ قَليل، يا صَديقي، فإنَّ السَّبْتَ كَانَ رَمْزًا للرَّاحَةِ التي يَنْبَغي للمُؤمِنينَ المَسيحيِّينَ أَنْ يَخْتَبِروها في المَسيحِ يَسوع. بِعبارَةٍ أُخرى، فإنَّ التَّرْكيزَ يَنْصَبُّ هُنا لا على السَّبْتِ في حَدِّ ذاتِهِ، بَلْ على الربِّ يَسوعَ المَسيح لأَنَّهُ رَبُّ السَّبْتِ. لِذلكَ يَقولُ بولسُ الرَّسولُ في رِسالَتِه إلى أَهْلِ كُولوسي 2: 16 و 17: "فَلاَ يَحْكُمْ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ فِي أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ، أَوْ مِنْ جِهَةِ عِيدٍ أَوْ هِلاَل أَوْ سَبْتٍ، الَّتِي هِيَ ظِلُّ الأُمُورِ الْعَتِيدَةِ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَلِلْمَسِيحِ".

مِنَ المُؤسِفِ حَقًّا أَنَّ أَشْخاصًا كثيرينَ مَا زَالُوا مُسْتَعْبَدينَ لِنَاموسِ الأعْمالِ حَتَّى وَقْتِنا الحاضِرِ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُطَبِّقَ النَّاموسَ، يَجِبُ عليكَ أَنْ تُطَبِّقَهُ بِحَذافيرِهِ. فَلا يَجوزُ أَنْ تُطَبِّقَ مَا تَشاء وَأَنْ تَتَجاهَلَ مَا تَشاء. فنحنُ نَقرأُ في رِسالَةِ بولسَ الرَّسول إلى أَهْلِ غَلاطِيَّة 3: 10: "لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»".

وَيُتابِعُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ رِسالَتَهُ قائلًا في الأصْحاح الرَّابع وَالعَدَدَيْن السَّادِس وَالسَّابِع:

فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْمًا يَدْخُلُونَهَا، وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلاً لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ الْعِصْيَانِ، يُعَيِّنُ أَيْضًا يَوْمًا قَائِلاً فِي دَاوُدَ: «الْيَوْمَ» بَعْدَ زَمَانٍ هذَا مِقْدَارُهُ، كَمَا قِيلَ :«الْيَوْمَ، إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ».

لَعَلَّكَ لاحَظْتَ، صَديقي المُستمع، أنَّ الكاتِبَ يَسْتَخْدِمُ الكَلِمَة "اليَوْم" كَثيرًا في رِسالَتِهِ. فَقَدْ كانَ اللهُ يَعْرِضُ راحَتَهُ على شَعْبِهِ مُنْذُ الخَلْق. وَهُوَ مَا يَزَالُ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى يَوْمِنا هَذا. وَكَما رَأَيْنا في الحَلْقَةِ السَّابِقَةِ، فإنَّ بَني إسرائيلَ لَمْ يَدْخُلوا أرْضَ الرَّاحَةِ بِسَبَبِ عِصْيانِهِمْ وَتَمَرُّدِهِمْ على اللهِ. وَبالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ، فإنَّ الوَعْدَ بالرَّاحَةِ مَا يَزالُ مُتاحًا لِكُلِّ مُؤمِنٍ مَسيحيٍّ اليومَ مِنْ خِلالِ إيمانِهِ بشخصِ الربِّ يَسوعَ المَسيح.

وَيَقولُ كاتِبُ الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّينَ إنَّ هَذا الوَعْدَ بالرَّاحَةِ كَانَ مُتاحًا حَتَّى في زَمَنِ دَاوُد أيْ بَعْدَ نَحْوِ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ مِنْ مَنْعِ الشَّعْبِ القَديمِ مِنَ الدُّخولِ إلى أرْضِ كَنْعان. لِذلكَ فَإنَّ داوُدَ يَسْتَخْدِمُ الكَلِمَة "اليوم" للإشارَةِ إلى أنَّ بابَ الرَّاحَةِ مَا يَزالُ مَفْتوحًا. لِذلكَ فإنَّ كَلِمَة اللهِ تَدْعونا دائِمًا إلى عَدَمِ تَقْسِيَةِ قُلوبِنا: "اليَوْمَ، إنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلا تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ". بِعِبارَةٍ أُخرى، فَقَدْ كانَ دَاوُدُ يُناشِدُ الشَّعْبَ في زَمانِهِ بأنْ لا يُقَسُّوا قُلوبَهُمْ، وَبأنْ يَأخُذوا عِبْرَةً مِمَّا حَدَثَ مَعَ الشَّعْبِ في القَديم.

وَيُتابِعُ كاتِبُ الرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّينَ رِسالَتَهُ قائلًا في الأصْحاح الرَّابِع وَالعَددِ الثَّامِن:

لأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ.

كانَ يَشوعُ هُوَ القائِدُ الذي جاءَ خَلْفًا لِمُوسى بَعْدَ مَوْتِهِ. وَمَعَ أنَّ يَشوعَ قَادَ الشَّعْبَ إلى أرْضِ كَنْعان، فإنَّهُ لَمْ يُحَقِّقْ لَهُمْ كَمالَ الرَّاحَةِ. وَهَذا أمْرٌ مُدْهِشٌ حَقًّا. فَقَدِ اسْتَمَرَّ اللهُ يَعِدُهُمْ بالرَّاحَةِ حَتَّى بَعْدَ أنْ دَخَلوا أرْضَ كَنْعان. لِماذا؟ لأنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّهُمْ لَمْ يَدْخُلوا الرَّاحَة التي يُريدُها لَهُم. فَهُناكَ رَاحَةٌ يُريدُها اللهُ لأولادِهِ. والرَّاحَةُ الحَقيقيَّةُ هِيَ عَمَلُ الربِّ يَسوعَ المَسيح مِنْ أجْلِ تَبْريرِنا قُدَّامَ اللهِ. فَهُوَ الذي بَذَلَ نَفْسَهُ لأجْلِنا كَيْ لا نَموتَ نَحْنُ بِخَطايانا، بَلْ تَكونُ لَنا الحَياةُ الأبديَّة. وَهُوَ الذي فَتَحَ الطَّريقَ أمامَنا لِنَتَمَتَّعَ بالشَّرِكَةِ الحَميمَةِ مَعَ اللهِ الآبِ. ولأنَّهُ أكْمَلَ العَمَلَ الذي أعْطاهُ إيَّاهُ اللهُ الآبُ، لا يُمْكِنُنا أنْ نُضيفَ شَيئًا إلى عَمَلِ الفِداءِ الذي قامَ بِهِ عَنَّا وَلأجْلِنا.

وَلِكَيْ تَتَمَتَّعَ، صَديقي المُستمِع، بِهَذِهِ الرَّاحَةِ التي أعَدَّها اللهُ لَكَ، يَجِبُ عليكَ أنْ تُؤمِنَ بيسوعَ المَسيحِ وَبِما عَمِلَهُ لأجْلِكَ على الصَّليب. أمَّا إذا أرَدْتَ أنْ تُبَرِّرَ نَفْسَكَ بأعْمالِكَ أوْ بِطَريقَتِكَ الخاصَّةِ، فإنَّ كَلِمَةَ اللهِ تَقولُ لَنا جَميعًا إنَّ أعْمالَنا هِيَ كَالمَلابِسِ الرَّثَّةِ البالِيَةِ في نَظَرِ اللهِ القُدُّوس. لِذلِكَ، لا تَتَّكِلْ على أعْمالِكَ وَمَجْهوداتِكَ، بَلِ اتَّكِلْ على الربِّ يَسوعَ المَسيح الذي قَامَ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُ لِخَلاصِكَ وَتَبْريرِكَ لِكَيْ تَتَمَتَّعَ بالرَّاحَةِ الحَقيقيَّة.

وَيُتابِعُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ رِسالَتَهُ قائلًا في الأصْحاحِ الرَّابِعِ وَالعَدَدَيْنِ التَّاسِعِ وَالعاشِرِ:

إِذًا بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ.

إذًا، هُناكَ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ، يا صَديقي! وَحالَما أكْمَلَ يَسوعُ عَمَلَ الفداءِ، اسْتَراحَ اللهُ الآبُ مِنْ جِهَةِ فِداءِ الإنْسانِ. فَقَدْ قالَ يَسوعُ في إنْجيلِ يوحنَّا 4: 34: "طَعَامِي أَنْ أَعْمَلَ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي وَأُتَمِّمَ عَمَلَهُ". وَقَدْ كانَ العَمَلُ الذي عَمِلَهُ يَسوعُ وَتَمَّمَهُ هُوَ فِداءُ الإنْسانِ. وَبِذَلِكَ، صَارَ خَلاصُ الإنْسانِ مُكْتَمِلًا.

وَإذا كُنْتَ، عَزيزي المُستمِع، قَدْ دَخَلْتَ إلى رَاحَتِهِ، يُمْكِنُكَ أنْ تَسْتَريحَ مِنَ الاتِّكالِ على أعْمالِكَ تَمامًا كَما اسْتَراحَ اللهُ مِنْ أعْمالِهِ. فَلا يُوْجَدُ عَمَلٌ يُمْكِنُكَ أنْ تَقومَ بِهِ لِتَخْليصِ نَفْسِكَ أكْثَرَ مِمَّا قامَ بِهِ هُوَ لِتَخْليصِكَ بيسوعَ المَسيحِ. وَتَبْقى مَسؤوليَّتُكَ هِيَ أنْ تُؤمِنَ بِذَلِكَ وَأنْ تَقْبَلَ العَمَلَ الذي قامَ بِهِ يَسوعُ المَسيحُ لأجْلِكَ. فَإنْ قَبِلْتَ مَا فَعَلَهُ يَسوعُ لأجْلِكَ على الصَّليبِ، فإنَّكَ تَصيرُ مَقْبولًا قُدَّامَ اللهِ العَلِيِّ الحَيِّ.

وَيُتابِعُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ رِسالَتَهُ قائلًا في الأصْحاحِ الرَّابِعِ وَالعَدَدِ الحادي عَشَرَ:

فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هذِهِ عَيْنِهَا.

وَرُبَّما يَبْدو هذا الكَلامُ مُتناقِضًا! وَلَكِنَّ الاجْتِهادَ هُنا لا يُشيرُ إلى الاجْتِهادِ في الاتِّكالِ على الأعْمالِ الحَسَنَةِ. بَلْ إنَّهُ يُشيرُ في الحَقيقَةِ إلى ضَرورَةِ عَدَمِ الاسْتِخْفافِ بِالخَلاصِ الثَّمينِ الذي قَدَّمَهُ اللهُ لَنا مَجَّانًا. فَهُناكَ رَاحَةٌ يُريدُ اللهُ أنْ يُبارِكَنا بِها. وَإنْ أرَدْنا أنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةِ، يَنْبَغي لَنا أنْ نَجْتَهِدَ لأنَّ إبليسَ خَصْمَنا يَجولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَهُوَ يتَرَبَّصُ بأوْلادِ اللهِ عِنْدَ كُلِّ خُطْوَةٍ. وَهُوَ يَسْعى دائِمًا إلى تَثْبيطِ هِمَمِنا وَإضْعافِ مَعْنَوِيَّاتِنا. فَهُوَ قَدْ يَقولُ لَكَ إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ القِيامَ بِذَلِكَ، وَإنَّكَ لا تَسْتَطيعُ أنْ تَحْيا حَياةَ الطَّهارَةِ وَالبِرِّ وَالقَداسَةِ. وَلَكِنَّنا نُؤمِنُ يَقينًا أنَّ اللهَ الحَيَّ قادِرٌ على تَتْميمِ عَمَلِهِ فينا مِنْ خِلالِ رُوْحِهِ القُدُّوسِ السَّاكِنِ في قُلوبِنا. بِعِبارَةٍ أُخرى، مَعَ أنَّنا لا نَسْتَطيعُ القِيامَ بِذَلِكَ بِمُفْرَدِنا، فإنَّنا نَسْتَطيعُ القِيامَ بِذَلِكَ مِنْ خِلالِ المَسيحِ السَّاكِنِ فينا. فَالمُؤمِنُ المَسيحيُّ قادِرٌ بِنِعْمَةِ اللهِ على القِيامِ بِكُلِّ مَا يُريدُهُ اللهُ أنْ يَقومَ بِهِ.

لِذا فإنَّ كاتِبَ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ يَقولُ: "فَلْنَجْتَهِدْ أنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أحَدٌ في عِبْرَةِ العِصْيَانِ هذِهِ عَيْنِهَا". فَمَعَ أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نُضيفَ شَيئًا إلى عَمَلِ الخلاصِ الذي أكْمَلَهُ الربُّ يَسوعُ المَسيحُ، فإنَّ كَلِمَةَ اللهِ تَحُضُّنا على السَّهَرِ الدَّائِمِ لأنَّ إبليسَ الماكِرَ

يَعْمَلُ ليلًا وَنَهارًا على تَدْبيرِ المَكائِدِ ضِدَّ أولادِ اللهِ. وَهُوَ قَدْ يُوْقِعُنا في شِراكِهِ إنْ لَمْ نَتَنَبَّه جَيِّدًا. وَهُوَ قَدْ يَدْفَعُنا إلى الاتِّكالِ على أعْمالِنا لأنَّهُ يَعْلَمُ سَلَفًا أنَّنا سَنَفْشَل. فَكُلُّ ما نَفْعَلُهُ في الجَسَدِ مَصيرُهُ الفَشَل. وَلا نُخْطِئُ إنْ قُلْنا إنَّ إبليسَ يَقِفُ وَراءَ كُلِّ مُحاوَلَةٍ للاتِّكالِ على الجَسَدِ وَالأعْمالِ. وَلأنَّ إبليسَ يَعْلَمُ نَتيجَةَ الاتِّكالِ على الجَسَدِ، فإنَّهُ يُشَجِّعُنا دائِمًا على الاتِّكالِ على ذَواتِنا لأنَّهُ يَعْلَمُ أنَّنا سَنَفْقِدُ رَاحَتَنا في المَسيحِ يَسوعَ بِهَذِهِ الطَّريقَة.

في ضَوْءِ هَذا كُلِّهِ، يَنْبَغي لَنا أنْ نَجْتَهِدَ أنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةِ. وَيُحَذِّرُنا كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ مِنَ الكَسَلِ وَالتَّراخي لِئَلَّا نَسْقُط في الشَّرَكِ الذي سَقَطَ فيهِ الشَّعْبُ العِبرانِيُّ القَديم. فَبِسَبَبِ اتِّكالِهِمْ على أعْمالِ النَّاموس، سَقَطوا في فَخِّ العِصْيان.

وَأخيرًا، يَقولُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ في الأصْحاحِ الرَّابِعِ وَالعَدَدِ الثَّاني عَشَر:

لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ.

وَهُناكَ آيَةٌ يُسيءُ الكَثيرُ اقْتِباسَها ألا وَهِيَ الآية 2 كورنثوس 3: 6 حَيْثُ يَقولُ بولسُ الرَّسول: "لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي". وَالخَطَأُ الذي يَقْتَرِفُهُ كَثيرونَ عَنْدَ اقْتِباسِ هَذِهِ الآيَةِ هُوَ أنَّهُمْ يَظُنُّونَ أنَّ بولُسَ يُشيرُ بِذَلِكَ إلى تَعاليمِ الكِتابِ المُقَدَّس. وَلَكِنَّ هَذا ليسَ صَحيحًا. فالرَّسولُ بولسُ يُشيرُ في هَذا السِّياقِ إلى حَرْفِيَّةِ النَّاموس. بِعِبارَةٍ أُخرى، فإنَّهُ يُشيرُ هُنا إلى الأشخاصِ الذينَ يُحاوِلونَ تَبْريرَ أنْفُسِهِمْ بِأنْفُسِهِمْ قُدَّامَ اللهِ القُدُّوس. فَالشَّخْصُ الذي يُحاوِلُ العَيْشَ وَفْقًا للنَّاموسِ يَحْكُمُ على نَفْسِهِ بالموتِ. لِماذا؟ لأنَّ النَّاموسَ سَيَدينُنا وَيَحْكُمُ عَلينا بالموتِ في كُلِّ مَرَّة. أمَّا رُوْحُ اللهِ فَيُحْيي.

وَيَقولُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّينَ إنَّ "كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ". وَيا لَها مِنْ كَلِماتٍ رائِعَةٍ، يا صَديقي!

وَكَما نَعْلَمُ جَميعُنا، فإنَّ الكَثيرَ مِنْ مُمارَساتِ العِبادَةِ تُرَكِّزُ على العَواطِفِ وَالمَشاعِرِ دُوْنَ أنْ تُلامِسَ الحاجَاتِ الروحيَّةَ العَميقَةَ للإنْسان. فَهُناكَ طُقوسٌ كَثيرَةً تَجْعَلُنا نَشْعُرُ أنَّنا عَبَدْنا اللهَ وَتَقَرَّبْنا إليهِ. وَلَكِنَّ الحَقيقَةَ بَعيدَةٌ كُلَّ البُعْدِ عَنْ ذَلك لأنَّنا لَمْ نَتَعَلَّمْ كَلِمَةَ اللهِ، بَلِ اخْتَبَرْنا سَيْلًا مِنَ العَواطِفِ وَحَسْب.

وَلَكِنْ إنْ أرَدْنا أنْ نُغَذِّي أرْواحَنا، فإنَّ أفْضَلَ غِذاءٍ لأرْواحِنا هُوَ كَلِمَةُ اللهِ. فَلا يُمْكِنُكَ أنْ تَنْمو روحيًّا مِنْ خِلالِ التَّرْكيزِ على المَشاعِرِ وَالعَواطِفِ دائِمًا. فَالنموُّ الروحيُّ الحَقيقيُّ لا يَتِمُّ إلَّا مِنْ خِلالِ قِراءَةِ كَلِمَةِ اللهِ، وَدِراسَتِها، وَالتَّعَمُّقِ فيها. وَهَذا هُوَ ما يُعْلِنُهُ كاتِبُ الرِّسالةِ إلى العِبرانِيِّين. فَهُوَ يَقولُ إنَّ كَلِمَةَ اللهِ "خَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ". وَهَذا أمْرٌ لا يُمْكِنُنا نَحْنُ القِيامَ بِهِ. أمَّا كَلِمَةُ اللهِ فَقادِرَةٌ على اخْتِراقِ نُفوسِنا وَأرواحِنا بِطُرُقٍ عَجيبَةٍ حَقًّا. فَالنَّفْسُ

وَالرُّوحُ مُتداخِلانِ وَمُتَشابِكان. لِذلكَ، مِنَ الصَّعْبِ عَلَيْنا أنْ نَعْلَمَ إنْ كُنَّا قَدْ تَأثَّرْنا في أرْواحِنا أمْ في عَواطِفِنا وَحَسْب. وَبِسَبَبِ الفُروقِ الدَّقيقَةِ بينَ النَّفْسِ وَالرُّوح، فإنَّ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ الوَحيدَةُ القادِرَةُ على التَّمْييزِ بينَ مَا هُوَ عَاطِفِيٌّ وَما هُوَ رُوْحِيٌّ.

كَذَلِكَ، فإنَّ كَلِمَةَ اللهِ تُمَيِّزُ أفْكارَ القَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. فَيَنْبَغي علينا أنْ نَتَّكِلَ على العَمَلِ الذي أكْمَلَهُ يَسوعُ على الصَّليب. وَلَكِنْ هُناكَ مَا يَدْفَعُنا دائِمًا إلى الاتِّكالِ على أعْمالِ الجَسَدِ وَعلى مَجْهوداتِنا الشخصيَّةِ لِتَتْميمِ عَمَلِ الفِداءِ فينا. وَيَنْبَغي لَنا أنْ نُدْرِكَ أنَّنا إنِ اتَّكَلْنا على أعْمالِ الجَسَدِ، فإنَّنا لَنْ نَجِدَ الرَّاحَةَ الحَقيقيَّةَ التي يُريدُها اللهُ لَنا. لِماذا؟ لأنَّ أعْمالَنا لَيْسَتْ جَديرَةً بالثِّقَةِ. فَحَتَّى لَوْ بَدَتْ أعْمالُنا صَحيحَةً وَسَليمَةً في الظَّاهِرِ، فإنَّ الدَّوافِعَ الخَفِيَّةَ وَراءَها قَدْ لا تَكونُ مَقْبولَةً عِنْدَ اللهِ القُدُّوس. فَهُناكَ أشياءٌ كَثيرَةٌ تَبْدو رائِعَةً في الظَّاهِرِ، وَلَكِنَّها لَيْسَتْ كَذَلِكَ في الحَقيقَة. فَإنْ فَحَصْنا قُلوبَنا في ضَوْءِ مَا تَقولُهُ كَلِمَةُ اللهِ، سَنَجِدُ أنَّ دَوافِعَنا لَمْ تَكُنْ نَقِيَّةً أوْ طَاهِرَةً كَما يَنْبَغي. فَهُناكَ أعْمالٌ حَسَنَةٌ نَقومُ بِها لِكَيْ يَرانا النَّاسُ وَيَمْتَدِحونا. وَهُناكَ أعْمالُ نَقومُ بِها لأنَّ لَنا مَصْلَحَةً مَا مِنْ وَراءِ القِيامِ بِها. لِذلكَ، قالَ يَسوعُ في إنْجيلِ مَتَّى 6: 1: "اِحْتَرِزُوا مِنْ أنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أجْرٌ عِنْدَ أبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأزِقَّةِ، لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ. اَلْحَقَّ أقُولُ لَكُمْ: إنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أجْرَهُمْ! وَأمَّا أنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالُكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ، لِكَيْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي الْخَفَاءِ. فَأبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ هُوَ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً. وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ، فَإنَّهُمْ يُحِبُّونَ أنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ، لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أقُولُ لَكُمْ: إنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أجْرَهُمْ! وَأمَّا أنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إلَى مِخْدَعِكَ وَأغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إلَى أبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً".

في ضَوْءِ ذَلِكَ، ليتَنا جَميعًا نَتَخَلَّى عَنْ أيِّ رَغْبَةٍ في الحُصولِ على المَدْحِ وَالثَّناءِ مِنَ النَّاسِ. فَقَدْ حَذَّرَنا الربُّ يَسوعُ مِنْ خُطورَةِ ذَلِكَ عَلَيْنا. فسوفَ يأتي يَوْمٌ نَقِفُ فيهِ أمامَهُ لِنُقَدِّمَ حِسابًا عَنْ حَياتِنا التي عِشْناها على الأرْض. وَلا شَكَّ أنَّ الربَّ سَيَحْكُمُ علينا وَفْقًا لِدَوافِعِنا. ولأنَّ دَوافِعَنا ليستْ سَليمَةً تَمامًا عادَةً، فإنَّ هَذا يَعْني أنَّ أعْمالَنا سَتَحْتَرِقُ وَلا يَعودُ لَها أثَرٌ. أمَّا إذا كانَتْ بَعْضُ دَوافِعِنا سَليمَةً فإنَّ أعْمالَنا سَتَثْبُتُ وَنُكافَأُ عليها.

وَهَذا لا يَعني البَتَّةَ أنْ نَمْتَنِعَ عَنِ القيامِ بالأعْمالِ الصَّالِحَةِ لأنَّها سَتَكونُ بِلا طائِل. صَحيحٌ أنَّنا لا نَسْتَطيعُ أنْ نُرْضي اللهَ القُدُّوسَ بأعْمالِنا لأنَّ داوُدَ يَقولُ في المَزْمور 116: "مَاذَا أرُدُّ لِلرَّبِّ مِنْ أجْلِ كُلِّ حَسَنَاتِهِ لِي؟" وَلَكِنَّ هَذا لا يَعْني أنْ نَتَوَقَّفَ عَنِ الأعْمالِ الصَّالِحَةِ، بَلْ أنْ نُقَدِّمَ للهِ شُكْرَ قُلوبِنا بِسَبَبِ إحْساناتِهِ الكَثيرَة، وَأنْ نَقومَ بالأعْمالِ الحَسَنَةِ التي تُمَجِّدِ اسْمَهُ القُدُّوس. فَإلَهُنا الحَيُّ يَسْتَحِقُّ كُلَّ حَمْدٍ وَشُكْرٍ وَتَمْجيد. آمين!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج "الكَلِمَة لِهَذا اليَوم"، سَيُتابِعُ الرَّاعي "تْشَك سميث" (بِمَشيئَةِ الربِّ) دِراسَتَهُ لِلرِّسالَةِ إلى العِبرانِيِّين! لِذَا، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة كَيْ تَنالَ كُلَّ بَرَكَةٍ وَفائِدَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَع كَلِمَةٍ خِتامِيَّة.

[كَلِمَة خِتامِيَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

لا يُمْكِنُ لأعْمالِنا مَهْما كَثُرَتْ أنْ تُبَرِّرنا قُدَّامَ اللهِ القُدُّوس. وَلا يُمْكِنُ لأعمالِنا مَهْما عَظُمَتْ أنْ تَجْعَلَنا مَقبولينَ لَدى اللهِ البارِّ. وَلا يُمْكِنُنا أنْ نَقِفَ أمامَ اللهِ ذاتَ يَوْمٍ وَأنْ نَقولَ لَهُ: "يا رَبُّ، لَقَدْ عَمِلْتُ كَذا وَكَذا". فَأعْمالُنا الحَسَنَةُ يَنْبَغي أنْ تَكونَ ثَمَرًا طَبيعِيًّا وصَدىً لِما نَشْعُرُ بِهِ في قُلوبِنا مِنْ شُكْرٍ وَتَقْديرٍ للهِ على كُلِّ مَا صَنَعَهُ لأجْلِنا. لِذلكَ، لا يُمْكِنُنا أنْ نُطالِبَ اللهَ بأيِّ مُكافأةٍ على الأعْمالِ التي قُمْنا بِها. فالإيمانُ الحَقيقيُّ يَجِبُ أنْ يُثْمِرَ أعْمالًا صالِحَةً. فَهَذا هُوَ أقَلُّ ما يُمْكِنُنا أنْ نُقَدِّمَهُ للهِ على مَا صَنَعَهُ لأجْلِنا. وَلَيْتَ الربَّ يُعْطيكَ، صَديقي المُستمِع، أنْ تَكونَ مُثْمِرًا دائِمًا في كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ. باسْمِ فادينا وَمُخَلِّصِنا يَسوعَ المَسيح. آمين!